

الولادة في الكعبة المعظمة  
فضيلة لعل عليه السلام خصه بها رب البيت  
شاعر شع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار المنتجبين . أما بعد :

فقد حالفني الحظ في مطالعة كتاب " علي وليد الكعبة " لسماحة الشيخ الحجة الميرزا محمد علي الغروي الأردوبادي تغمد الله برحمته ، وسبرت غوره بقدر ما وسعني ذلك ، فامتألت نفسي إعجابا به وإكبارا له ، ووجدتني مندفعاً لتسجيل كلمة تعرب عن مبلغ ارتياحي وابتهاجي بهذا الأثر القيم ومكانته . ولم يعرني شك في أنه نفحة من نفحات أمير المؤمنين عليه السلام منحها المؤلف فاستأثر بها ، مطلقاً العنان لسعة باعه وقوة بيانه المفعم بعناصر التجويد والإبداع ، موقفاً الباحث على جلية حديث الولادة الميمونة ، مظهراً في أثناء ذلك مبلغ عنائه في جمع مواده . ولشدة ما استهواني موضوع الكتاب بدأت أجمع استدراقات له ، تتميماً وتعظيماً ، والذي حداني إلى ذلك ثقتي بأنه قد سره لو أمد الله في عمره لصنع مثل

ما صنعت ، وبارك لي فيما كتبت ، خاصة أني اقتفيت في هذا التتيم أثره ، وسلكت منهجه . وقد تجمعت لدى نصوص كثيرة من مخطوط الكتب ومطبوعها ، قديمها وحديثها ، نادرها ونفيسها ، مما كان الوصول إليه والحصول عليه في زمان الحجة المؤلف أمراً عسيراً ، ومجموع ذلك يغني لإثبات صحة الحديث ، والكشف عن اتفاق أهل العلم والفضل عليه . ولكن الذين \* يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله \* (لم تطاوعهم نفوسهم لقبول فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه أولها بما فيها من دلالات عميقة ، فحاولوا تشويهها بشتى الأساليب ، تمريراً لسياسة معاوية في التصدي لفضائل الإمام علي عليه السلام ، تلك السياسة التي دبرها وعممها في مرسوم سلطاني يقول فيه : برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته . (1) ثم كتب إلى عماله في جميع الآفاق : إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته . (2) قال الرواي : فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ! فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر . (3) ! وبهذه الجرأة والصلافة ملأوا كتبهم بالأكاذيب الكثيرة ، والفضائل المجعولة ،

(1) شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد - ١١ / ٤٤ عن كتاب "الأحداث" لأبي الحسن علي بن محمد المدائني .

(2) المصدر السابق : ١١ / ٤٤ .

(3) المصدر السابق .

ص: 13

والأحاديث الموضوعية .

وحيث لم يطالوا إنكار فضيلة المولد الشريف للإمام علي عليه السلام لوضوحه واشتهاره ، بل تواتره والاتفاق عليه ، عمدوا إلى وضع أسلوب آخر لإخفاء أثرها ، وهو ادعاء مثل ذلك لشخص آخر هو الصحابي حكيم بن حزام ، وروجوا لهذه المزعومة حسب الإمكانيات التي هيأتها لهم السلطة وأعانها . وهذه ليست أول خصوصية يحاولون سلجها عليا عليه السلام ، بل هناك غيرها كثير ، منها : الحديث المتواتر المتفق على صحته : " أنا مدينة العلم وعلى بابها " . وضعوا قبالة حديثنا وإهيا هو : " أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفيها ، وعلى بابها . (4) " !

وحديثنا آخر ، أشد وهنا ، وأظهر وضعاً ، هو : " أنا مدينة العلم ، وعلى بابها ، ومعاوية حلقتها . (5) " ! ومنها الحديث المتواتر الثابت الآخر : " على منى بمنزلة هارون من موسى . " وضعوا قبالة حديثنا يشهد متنه وسياقه بوضعه ، فضلا عن سنده ، هو : " أبو بكر وعمر منى بمنزلة هارون من موسى . (6) " ! ومنها الحديث المتواتر الصحيح الآخر : " لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . " . وضعوا قبالة حديثنا مثيرا للضحك والسخرية والاستغراب ، هو : " لأعطين هذا الكتاب رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ! قم يا عثمان بن أبي العاص . فقام عثمان بن أبي العاص ، فدفعه إليه ؟ " . (7) ! ويكشف عن هذا التلاعب المكشوف ، ويبين أنه كان أمرا معروفا ومألوفا ، قول

(4) راجع الغدير ٧ : ١٩٧ - ١٩٩ .

(5) راجع الغدير ٧ : ١٩٧ - ١٩٩ .

(6) راجع الغدير ١٠ : ٩٤ .

(7) المعجم الأوسط للطبراني ١ : ٤٣٨ ح ٧٨٨ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ٣٧١ .

ص: 14

الزهري في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد بن حنبل في "فضائل الصحابة" قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنا معمر ، قال : سألت الزهري : من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟ فضحك وقال : هو علي ، ولو سألت هؤلاء - يعني بي أمية - قالوا : عثمان . (8)

واستعراض باقى الأمثلة يخرجنا عن موضوع البحث الرئيسى ، وإنما أردنا التذليل على منهج أولئك فى سلب الخصوصية ، وجرأتهم على وضع الأحاديث الواهية قبال الأحاديث السليمة . هذا رغم ميل بعض العلماء إلى أن ولادة حكيم بن حزام فى الكعبة ليست فضيلة ولا مكرمة ، وإنما كانت اتفاقا ولم تكن قصدا ، كما ارتأى ذلك الصغورى وغيره . (9)

وأغرق بعضهم نزعا فى الضلال ، ورمى القول على عواهنه ، متحديا ما أثبتته مهرة الفن وأئمة النقل ، وأخبت كبار العلماء والمؤرخين بصحته ، ولم يكثرث بأسانيد المتضافرة ، وطرقه المتصلة المعتمدة عند كل مؤلف ومخالف ، فقال " : إن حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبة ، ولا يعرف ذلك لغيره ، وأما ما روى أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء !! (10) "

وقد أجاد الحجة الأردوبادى فى الرد عليه ، وتفنيد مزاعمه ، فراجع أواخر باب " حديث الولادة والمؤرخون " . ولكن نجد رغم ذلك أن محاولتهم فيما يخص فضيلة المولد الشريف فى الكعبة المعظمة باءت بالفشل (11) ، فلو رجعنا إلى مصادر الحديث لوجدنا خلالها - مع إثبات

---

(8) فضائل الصحابة ٢ : ٥٩١ ح ١٠٠٢ طبعة مكة .

(9) زهة المجالس ٢ : ٢٠٤ .

(10) أنظر إنسان العيون ١ : ٢٢٧ .

(11) قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى فى الإصابة : ٤ / ٢٦٩ : " كلما أرادوا - يعنى بنو أمية - إخمادها وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشارا . "

---

ص: 15

تلك الفضيلة للإمام على عليه السلام على اليقين والجزم - أن من المؤلفين والعلماء والرواة من أعلن أن هذه الفضيلة مختصة بالإمام عليه السلام لم يشركه فيها أحد قبله ولا بعده ، مصرحين بذلك بعبارات شتى تدل على حصر هذه الفضيلة للإمام عليه السلام بضرر قاطع . وإليك نصوصها :

" لم يولد قبله ولا بعده مولود فى بيت الله الحرام سواه ، إكراما له بذلك وإجلالا لمحلته فى التعظيم " . رواها الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشى الكنجدى الشافعى (ت ٦٥٨ هـ) عن الحاكم أبى عبد الله النيشابورى (٣٢١ 405 - هـ . (12) )

وقالها أيضا : - الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادى ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ . (13) )  
- الحافظ يحيى بن الحسن الأسدى الحلى ، المعروف بابن البطريق (٥٣٣ - ٦٠٠ هـ . (14) )  
- الشيخ الثبت أبو على محمد بن الحسن الواعظ الشهيد النيسابورى ، المعروف بابن الفتال ، من علماء القرن السادس . (15)

- الشيخ الوزير بهاء الدين أبو الحسن على بن عيسى الإربلى (ت ٦٩٣ هـ . (16) )

---

(12) كفاية الطالب : ٤٠٧ (13) . الإرشاد : ٩ . (١٤) عمدة عيون صحاح الأخبار : ٢٤ . (١٥) روضة الواعظين (16) . 76 : كشف الغمة ١ : ٥٩ .

ص: 16

- الإمام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (٤٤٨ - ٧٢٦ هـ) (17) )
  - السيد المحدث جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني ، المتوفى نيف وثمانمائة من الهجرة . (18)
  - الشيخ المحدث الحسن بن أبي الحسن الديلمي ، من أعلام القرن الثامن الهجري . (19)
  - الشيخ المؤرخ النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني ، المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ) . (20)
  - العلامة المحدث السيد ولي الله بن نعمه الله الحسيني الرضوي ، من أعلام القرن التاسع الهجري . (21)
  - العالم اللغوي الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ - ١٠٨٧ هـ) . (22)
  - العلامة محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري الشافعي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر (23)
- " ولد بمكة في البيت الحرام ، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه ، لا قبله ولا بعده ، وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها ، إجلالا لمحلته ومنزلته ، وإعلاء لقدره . "

(17) نهج الحق وكشف الصدق : ٢٣٢ .

(18) منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة : ٧ ، نسخة مكتبة آية الله الكلبايبكاني المؤرخة ١٢٦٥ هـ .

(19) إرشاد القلوب : ٢١١ .

(20) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٥٨ .

(21) كنز المطالب وبحر المناقب : ٤١ ، نسخة المدرسة الفيضية المؤرخة ٩٨٩ هـ .

(22) جامع المقال : ١٨٧ .

(23) الصراط السوي : ١٥٢ ، نسخة المكتبة الناصرية في لكهنو بالهند ، والتي يظهر أنها بخط المؤلف .

ص: 17

قالها :

- أمين الإسلام الشيخ المفسر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) . (24)
  - الحافظ محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي ، من أكابر علماء العامة في القرن الثاني عشر . (25)
- " ولد بداخل البيت الحرام ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالا له ، وإعلاء لمرتبه ، وإظهارا لتكريمته " . قالها : - الحافظ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي (٧٨٤ - ٨٥٥ هـ) . (26) (وحكاها عنه : - الفقيه المؤرخ نور الدين علي بن عبد الله الشافعي السهمودي

(٨٤٤ - ٩١١ هـ) فى " جواهر العقدين فى فضل الشرفين العلم الجلى والنسب العلى " . - الشيخ على بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ) فى " إنسان العيون . (27) "

- الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى ، من علماء القرن الثالث عشر . (28)

---

- (24) إعلام الورى : ١٥٣ ، تاج المواليدي : ١٢ .
- (25) مفتاح النجا فى مناقب آل العبا ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار : ١١٥ .
- (26) الفصول المهمة : ٣٠ .
- (27) عنهما على وليد الكعبة : ١١٩ .
- (28) نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبي المختار : ١٥٦ .
- 

ص: 18

- " ولد فى البيت الحرام ، ولا نعلم مولودا فى الكعبة غيره . "
- قالها تقى الطالبين الأديب الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى ، المعروف بالشريف الرضى (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) . (29) )
- " ولدته - أمه - فى الكعبة ، ولا نظير له فى هذه الفضيلة " . قالها علم الهدى ذو المجدين على بن الحسين الموسوى ، المعروف بالشريف المرتضى (٣٥٥ 436 - هـ) . (30) )
- " لم يولد فى الكعبة إلا على " . قالها : - الحافظ الفقيه محمد بن على القفال الشافعى (ت ٣٦٥ هـ) . (31) .
- شيخ الإسلام الحافظ المحدث إبراهيم بن محمد الجوينى الشافعى (٦٤٤ - ٧٣٠ هـ) . (٣٢) .
- " ولدت - فاطمة بنت أسد - عليا عليه السلام فى الكعبة ، وما ولد قبله أحد فيها " . نص على ذلك السيد الشريف النسابة نجم الدين أبو الحسن على بن محمد العلوى العمري ، من علماء القرن الخامس الهجرى . (33)
- 

- (29) خصائص الأئمة : ٤ .
- (30) شرح قصيدة السيد الحميرى المذهبة : ٥١ ، طبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ .
- (31) فضائل أمير المؤمنين : مخطوط ، عنه إحقاق الحق ٧ : ٤٨٩ .
- (32) فرائد السمطين ١ : ٤٢٥ .
- (33) المجدى فى أنساب الطالبين : ١١ .
- 

ص: 19

"لقد ولد عليه السلام فى بيت الله الحرام ، ولم يولد فيه أحد غيره قط . " قالها الشيخ الفقيه أبو الحسين سعيد بن هبّالله ، المعروف بقطب الدين الراوندى (ت ٥٧٣ هـ . (34) )

" مولده عليه السلام فى الكعبة المعظمة ، ولم يولد بها سواه " . قالها العلامة عمر بن محمد بن عبد الواحد (35) .

... " فالولد الطاهر ، من النسل الطاهر ، ولد فى الموضع الطاهر ، فأين توجد هذه الكرامة لغيره ؟ ! فأشرف البقاع : الحرم ، وأشرف الحرم : المسجد ، وأشرف بقاع المسجد : الكعبة ، ولم يولد فيه مولود سواه . فالمولود فيه يكون فى غاية الشرف ، فليس المولود فى سيد الأيام (يوم الجمعة) فى الشهر الحرام ، فى البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام " . قالها الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن على بن شهر آشوب السروى المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) (بعد أن ذكر عدة أحاديث فى ولادة على عليه السلام فى الكعبة . (36) )

" ولد فى الكعبة بالحرم الشريف ، فكان شرف مكة وأصل بكة لامتيازه

(34) الخرائج والجرائح ٢ : ٨٨٨ .

(35) النعيم المقيم لعترة النبا العظيم : ١٦ ، مخطوطة مكتبة آيا صوفيا - تركيا ، وأنظر بشأنه إيضاح المكنون ٢ : ٦٦١ ، أهل البيت - عليهم السلام - فى المكتبة العربية .

(36) مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٧٥ .

ص: 20

بولادته فى ذلك المقام المنيف ، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة . " قالها المحدث الجليل السيد

حيدر بن على الحسينى الآملى من علماء القرن الثامن الهجرى . (37) )

" كانت ولادته بالكعبة المشرفة ، وهو أول من ولد بها ، بل لم يعلم أن غيره ولد بها " . قالها العلامة صفى الدين أحمد بن الفضل بن محمد باكتير الحضرمى الشافعى ، من أعلام القرن الحادى عشر . (38) )

" ولد عليه السلام بمكة داخل الكعبة على الرخامة الحمراء ، ولم ينقل ولادة أحد قبله ولا بعده فى الكعبة ، وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء . " قالها كل من : - العالم المحدث الفقيه السيد تاج الدين بن على بن أحمد

الحسينى العاملى ، من علماء القرن الحادى عشر . (39) )

- العالم الفاضل محمد بن رضا القمى ، من علماء القرن الحادى عشر . (40) )

" ولادة معدن الكرامة فى جوف الكعبة ، ولم يولد أحد فيها غيره ، وقد خصه

(37) الكشكول فيما جرى على آل الرسول : ١٨٩ .

(38) وسيلة المال : ٢٨٢ ، نسخة مكتبة آية الله المرعشى النجفى العامة ، المؤرخة ١٢٨٠ هـ .

(39) التتمة فى تواريخ الأئمة ، الفصل الثالث ، مخطوط . (٤٠) كاشف الغمة : ٤٢٢ " نسخة المؤلف المخطوطة

المحفوظة فى مكتبة مجلس الشورى ، برقم ٢٠٠٠ .

الله تعالى بهذه الفضيلة ، وشرف الكعبة بهذا الشرف " . قالها العلامة الفاضل محمد مبین بن محب الله بن أحمد اللكهنوی الأنصاری الحنفی (ت ۱۲۲۵ هـ . (41) )

" ولادته في مكة المكرمة في جوف بيت الله الحرام ، ولم يولد أحد غيره في هذا المكان المقدس " . قالها العلامة الشيخ محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (۱۲۴۸ - ۱۳۰۷ هـ . (42) )

" كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة ، ولم تنح هذه السعادة لأى أحد منذ بدء الخليقة إلى الغاية ، وإن لصحة هذا الخبر بين المؤرخين المتحفظين على الفضائل صيت لا تشوبه شبهة ، وتجاوز عن أن يصحبه الشك والترديد . " قالها المؤرخ الشهير محمد بن خاوند شاه بن محمود (ت ۹۰۳ هـ . (43) )

" من المتفق عليه أن غيره صلوات الله عليه لم يولد هناك " . قالها المؤرخ العالم زين العابدين الشيرواني ، من علماء القرن الثاني عشر (۴۴) . (أما الشعراء ، وخاصّة العلماء منهم ، فقد زينوا شعرهم بقصائد في بيان فضائله ومناقبه عليه السلام المروية بالطرق الصحيحة المصححة المتواترة ، تخليدا لذكراه ، وأداء لبعض حقه ، وأثبتوا فيها خصوصية ولادته في الكعبة المعظمة ، ومنهم :

(41) وسيلة النجاء : ۶۰ ، طبعة كلشن فيض - لكهنو .

(42) تكريم المؤمنين بتقويم مناقب الخلفاء الراشدين : ۹۹ ، طبعة الهند سنة ۱۳۰۷ هـ .

(43) روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى ، الجز الثاني .

(44) بستان السياحة : ۵۴۳ ، الطبعة الثانية .

العالم الأديب أبو الحسن علاء الدين على بن الحسين الحلبي ، من العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري ، يقول في قصيدة دالية طويلة :

بشرا سواه ببيت مكة يولد ؟ الملاً	أم هل ترى في العالمين بأسرهم في
المقدس حوله يتعبد شرفا به دون	ليلة جبريل جاء بها مع فلقد سما مجدا
البقاع المسجد (45)	على كما علا

ومنهم العالم المتكلم المحدث الفقيه المولى محمد طاهر بن محمد حسين القمي ، صاحب المؤلفات القيمة النافعة ، المتوفى سنة ۱۰۹۸ هـ ، في لاميته البديعة التي مطلعها :

سلامة القلب نحنتى عن الزلل \* وشعلة العلم دلتنى على العمل إلى أن يقول:

طوبى له كان بيت الله مولده \* كمثل مولده ما كان للرسول (46)

ومنهم الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) صاحب " وسائل الشيعة " ،  
قال في أرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام :

في داخل الكعبة زيدت شرفا معروفة  
مولده بمكة قد عرفا على رخامة  
زادت بذاك قدرا تخفض كل رتبة عليه  
هناك حمرا فيا لها مزية عليه ما نالها  
ولا وصى آخر وأول  
قط نبي مرسل

(45) تجد القصيدة كاملة في الغدير ٦ : ٣٥٦ - ٣٦٤ .

(46) الغدير ١١ : ٣٢٠ .

ص: 23

ثم شرع بنظم حديث يزيد بن قعب المشهور . (47)

ومنهم الشيخ الفقيه حسين نجف البتريزي النجفي (١١٥٩ - ١٢٥١ هـ) ، حيث يقول في قصيدته الهائية :

مولدا يا له علا لا يضاهاى سيد الرسل  
جعل الله بيته لعل لم يشاركه فى  
لا ولا أنبيها (48)  
الولادة فيه

ومنهم العلامة السيد على نقى النقوى الهندي اللكهنوى فى موشحة ميلادية طويلة ، منها قوله :

إذ تعالى عن مثيل فى علاه فغذاه دره  
لم يكن فى البيت مولود سواه أوتى  
قبل الفطام  
العلم بتعليم الإله

يرتوى منه بأهني مشرب (49) ومنهم آية الله السيد محسن الأمين (1371 - 1284 هـ) صاحب الموسوعة

القيمة " أعيان الشيعة " ، حيث ذكر فى أول باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فصل فى مولده ، من  
موسوعته الآنف الذكر : ولدت ببيت الله وهى فضيلة \* خصصت بها إذ فيك أمثالها كثر (50) وله أيضا من  
مقصورة : وولدت فى البيت الحرام ولم يكن \* هذا لغيرك من يكون ومن مضى (51)

(47) على وليد الكعبة : ٣٦ .

(48) نقلها الشيخ الأوردبادى فى على وليد الكعبة : ٦٩ عن ديوان الشيخ المخطوط .

(49) تجدها كاملة فى على وليد الكعبة : ٨٥ - ٨٨ ، والغدير ٦ : ٣٣ - ٣٥ .

(50) أعيان الشيعة ١ : ٣٢٣ .

(51) على وليد الكعبة : ١٠٨ .

ومنهم السيد حسن بن محمود الأمين (١٢٩٩ - ١٣٦٨ هـ . )  
في قصيدة بأبيّة طويلة:

أركانه بك فوق السبعة الحجب بلى      ولدت في البيت بيت الله فارتفعت  
ومرتبة طالت على الرتب (52)      وتلك منزلة لم يؤتها بشر

ومنهم الفاضل الأديب الشيخ محمود عباس العاملي في قصيدته العلوية المسماة بـ " الدرر السنية " :

ذى خصلة قد خص فيها مذ وجد      من مثله في بيت بارئه ولد ؟ أمعن بها  
وانظر لها النظر الصحيح ولا تحد      يا صاح فكرا واعتمد

من واضح المنهاج وقيت الضرر (53)

والشعر في خصوصية ولادة علي عليه السلام في الكعبة كثير ، التقطت منه هنا ما هو أروع إلى السمع وأوقع في القلب .

بعد هذه المقدمة لا بد من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة ، هذه المزعمة الزائفة ، والرواية المجعولة ، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص ، لكشف زيفها وبيان وضعها ، إذ فيها الكثير مما يوجب الشك والريب في سلامتها وصحتها ، وبراءة ساحه روايتها . وأول من نسبته إليه وحكيته عنه ، وأقدمهم : هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المعروف ، صاحب التأليف التي

(52) أعيان الشيعة ٥ : ٢٨٥ ، دائرة المعارف الشيعية ١ : ١٥٣ .

(53) علي وليد الكعبة : ٨٣ .

نيفت على المائة والخمسين ، والمتوفى سنة أربع أو ست ومائتين ، وقيل : الأول أصح . والكلبي ممن تكالب بعض علماء الجرح والتعديل من العامة على تضعيفه وترك ما رواه ، وعدم الاحتجاج به . قال الدارقطني وغيره : متروك الحديث . (54)

وقال يحيى بن معين : غير ثقة . (55)

وقال السمعاني : " يروى العجائب والأخبار التي لا أصول لها . . . أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها . (56) "

وهذه الاتهامات ضد الكلبي ليس لها وزن عندنا ، لأنها ناشئة عن تعصب طائفي ، ومنقوضة بما يخالفها من آراء حسنة في الرجل تدل على خبرته وأماتته . إلا أنا نشكك في صحة نسبة ذلك القول إليه ، وفي صدق الحكاية عنه . والمتهم في القول عليه هو روايته السكرى ، فقد نسب إلى الكلبي أنه قال في " جمهرة النسب " :  
" وحكيم بن حزام بن خويلد عاش عشرين ومائة سنة ، وكانت أمه ولدته في الكعبة . (57) "

وكتاب الجماهرة من أشهر كتبه ، عدّه كبار المؤرخين من مصنفاته ، وذكروا أن محمد بن سعد كاتب الواقدي ومصنف كتاب " الطبقات " الكبير رواه عنه مع سائر مصنفاته . ولكن النسخة التي بأيدينا من كتاب الجماهرة هي برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ( ٢١٢ - ٢٧٥ هـ ) عن أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي ( ت ٢٤٥ هـ ) عن الكلبي .

(54) سير أعلام النبلاء ١٠ : ١٠١ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٦ .

(55) سير أعلام النبلاء ١٠ : ١٠١ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٦ .

(56) الأنساب ٥ : ٨٦ .

(57) جماهرة النسب ١ : ٣٥٣ .

ص: 26

وهذا خلاف ما أثبتته المؤرخون كالنديم والحموي وغيرهما . (58) وكان لهذا الاختلاف أثر كبير ، ودور مؤثر في متن الكتاب الأصلي . فقد عمد السكري إلى دس بعض آرائه وأقواله ومروياته في متن الجماهرة ، مصدرا بعضها بـ " قال أبو سعيد " ، هاملا البعض الآخر ، كما قام بتحريف بعض الجمل والكلمات ، أو تبديلها بما يتلاءم وآراءه الفكرية والمذهبية . وكان هذا ديدن السكري في ما يرويّه من مصنفات غيره ، وهكذا صنع بكتاب " المحبر " لأستاذه وشيخه أبي جعفر محمد بن حبيب . وقد تنبه لهذا الأمر محققا كتاب الجماهرة والمحبر . قال الدكتور ناجي حسن محقق الجماهرة في مقدمة التحقيق " : لقد وصلتنا جماهرة النسب لابن الكلبي برواية أبي سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب ، عن ابن الكلبي ، ومع ذلك ظهرت فيها إضافات واضحة ، وزيادات ، وتعليقات بينة ، لم ترد في أصل الجماهرة ، بل أضافها الرواة والنساخ . ولا يستبعد أن يكون أبو سعيد السكري هو نفسه الذي تام بهذا العمل ، حين وجد لديه فيضا من الأخبار ذات الصلة بالأنساب . (59) "

بعد هذا كله فليس من المستبعد ، ولا المستحيل ، أن تكون جملة " وكانت أمه ولدته في جوف الكعبة " في ذيل كلمة الكلبي المتقدمة من تلك الإضافات ، والزيادات ، والتعليقات البينة ، المحسوبة " فيضا من الأخبار ذات الصلة بالأنساب " . فإن كانت هذه الزيادة مبهمة بعض الشيء أو مشكك في أنها من الجماهرة ، فهي واضحة ، مكشوفة ، جلية في المحبر . ففي فضل الندماء من قريش " : وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديما لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد

(58) الفهرست : ١٤٣ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٩١ .

(59) جماهرة النسب : ١٠ .

- وحكيم هذا ولد في الكعبة ، وذلك أن أمه دخلت الكعبة وهي حامل به ، فضر بها المخاض فيها ، فولدته هناك - أسلما جميعا . (60) "

فالعبارة التي بين شارحتين قد أحدثت فاصلة بين صدر الكلام وذئله ، إذ المراد بقوله " أسلما جميعا " : الحارث وحكيم ، كما يدل عليه قوله المتقدم في أول الفصل المذكور : " وكان حمزة بن عبد المطلب نديما لعبد الله بن السائب المخزومي ، أسلما جميعا . (61) "

على أن هذا الفصل هو في الندماء من قريش ، وليس في ذكر أحوالهم وأحوال أمهاتهم وتاريخ ولاداتهم وكيفيتها . أضف إلى هذا أن عناوين الفصول والأبواب في المحبر انتخبت بدقة لتتلاءم مع محتوياتها ، كما يلاحظ بشكل جلي أنها خالية من الحشو وذكر الأمور الفرعية ، اللهم إلا في بعض الموارد التي هي من إضافات السكري . ففي فصل أسلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " : وسألفه صلى الله عليه : سعيد بن الأخنس - قال أبو سعيد السكري : سعيد هذا هو الذي قال النبي صلى الله عليه : أبعد الله ، فإنه كان يبغض قريشا - بن شريق ابن وهب . (62) " . . . .

وما أشبه قوله " سعيد هذا " بقوله " حكيم هذا " . وما أشبه الفاصلة بين " بن الأخنس . . . بن شريق " بالفاصلة الحادثة في الفقرة موضع البحث ، وكل ما في الأمر تصديرها بـ " قال أبو سعيد السكري " هنا ، وتركها سائبة مهملة هناك . لم يكتف السكري بهذا ، بل أضاف في بعض الموارد بهلا وروايات تتماشى مع اعتقاداته المذهبية .

(60)المحبر : ١٧٤ .

(61)المصدر نفسه : ١٧٤ .

(62)المصدر نفسه : ١٠٥ .

أذكر منها ما في أواسط فصل " ذكر سرايا رسول الله صلى الله عليه وجيوشه " . " وفيها غزوة عمرو بن العاص السهمي على ذات السلاسل ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح في جيشه ، وكان استمد ، فأمدته النبي صلى الله عليه بجيش فيهم أبو بكر وعمر ، ورئيس الجيش أبو عبيدة بن الجراح . قال أبو سعيد : فشكا أبو بكر وعمر رحمهما الله إلى النبي صلى الله عليه عمرو ابن العاص ، فقال لهما : لا يتأمر عليكما أحد بعدى . وهذا توكيد لخلافة أبي بكر وعمر رحمهما الله . (63) "

ولست في صدد الخوض في بحوث الخلافة والإمامة ، ومن هو أحق بها من غيره ، أو الولوج في مدى صحة حديث " لا يتأمر عليكما أحد بعدى " وعدمه ، فهذا أمر أشبعه علماءنا بحثا وتفصيلا ، ولكن أوردت هذا المثال لبيان تلاعب السكري في متون الكتب ، وهدفه من ذلك وغايته . يقول محقق كتاب المحبر في كلمة الختام " : وأظن أنه - أي ابن حبيب - كان يميل إلى الشيعية ، فإنه لا يذكر أبدا أم المؤمنين عائشة ، وسيدنا أبا بكر

الصديق ، وسيدنا عمر إلا بكلمة (رحمه الله) مع أنه دائما يذكر أم المؤمنين خديجة وسيدنا عليا بكلمة (رضى الله عنه) رضى الله عنهم أجمعين . وأيضا قد أثبت جميع ما يعاب به الرجل في سيدنا عمر ، مثل أنه كان أحول (64) .

أو كان قد ضرب ، قبل أن يسلم ، جاريته ضربا مبرحا على قبولها الإسلام ، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ! فمن أجل ذلك ، فيما أحسب ، أن روايه أبا سعيد السكري يضيف أحيانا إلى

---

(63)المصدر نفسه : ١٢١ و ١٢٢ .

(64)أنظر المحبر : ٣٠٣ .

---

ص: 29

متن الكتاب ما يؤيد رأى أهل السنة والجماعة في أمر الخلافة . (65) " وقد تحامل كثيرا على ابن حبيب لوصفه عمر بأنه أحول ، وهو أمر خلقي وليس عيبا كما ادعى . أو إثباته لبعض الحقائق التاريخية الثابتة المروية في جل كتب السيرة والتاريخ كضرب عمر جاريته لأنها سلكت طريق الحق وأسلمت . حتى أنه عدّها من الغل جهلا وتعصبا ! ويا ليته أمعن في مسألة تلاعب السكري المكشوف بمتن المحبر ، وإضافاته الواضحة إليه ، حتى يراها عين اليقين ، لكنه تساهل كثيرا وقال " فيما أحسب " فكان من الذين ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . فإن قيل : لا يهم عدم ذكر الكلبي وابن حبيب لخبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ، في أصل كتابيهما ، وأنها مما أضافه السكري فيما بعد باعتباره الراوى الأول لهما ، وثبوت نسبة هذه الزيادات إليه ، لأننا نروى عن أئمة الجرح والتعديل عندنا توثيقه . فقد قال فيه الخطيب البغدادي : كان ثقة دينا صادقا . (66)

وقال ياقوت الحموى : الراوية الثقة المكتر . (67)

فما زاده السكري في متن الكتابين نعه صحيحا مقبولا . قيل لهم : إن ما أثبتناه من التلاعب السافر للسكري في نصوص الكتب ومتونها ، ينافى إطلاقكم صفة " ثقة " عليه ، لأن الوثاقة هي الأمانة . والثقة : الأمين ، يقال :

---

(65)المصدر نفسه : ٥٠٩ .

(66)تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦ .

(67)معجم الأدباء ٨ : ٩٤ .

---

ص: 30

وثقت بفلان أثق ثقةً إذا ائتمنته . (68)

وقد بينا أنه لم يكن أميناً في رواية الكتائبين ، لخيانته للأمانة العلمية المتبعة في الاحتفاظ بالنصوص على ما هي عليه ونقضه قواعد الرواية ، ففتح بذلك باباً للتلاعب المعلن بالكتب والآثار ، لم يعلق إلى عصرنا هذا . على أننا لو سلمنا أنه كان ثقةً كما تدعون ، فروايته هذه مردودة لأكثر من سبب .  
منها : الإرسال ،

والذى عليه جل العلماء وأجلتهم أنه ضعيف ، مردود ، لا يحتج به . قال النووى فى التقريب : " ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين ، وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول . (69) "  
وقال مسلم فى مقدمة صحيحه : " والمرسل من الروايات فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة . (70) "

وقال ابن الصلاح فى مقدمته : " ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر . (71) "

وقال النووى : " ودليلنا فى رد العمل به أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى ، لأن المروى عنه محذوف ، مجهول العين والحال . " وقال ابن حاتم فى كتاب المراسيل : " سمعت أبى وأبا زرعة يقولان : لا يحتج بالمراسيل ، ولا تقوم الحجة إلا بالأسانيد الصحاح المتصلة . (72) "

(68) أنظر الصحاح ٤ : ١٥٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٣٧١ .

(69) التقريب : ٦٦ .

(70) صحيح مسلم ١ : ٣٠ .

(71) مقدمة ابن الصلاح : ١٣٦ .

(72) المراسيل : ١٥ .

ص: 31

أما معنى المرسل فهو أن يكون فى طريق الخبر راو ملتبس العين ، إما بأن لا يذكر ، أو أن يذكر على نحو الإبهام . (73) .

وعرفه أبو العباس القرطبي ، من أئمة المالكية قائلاً : " المرسل عند الأصوليين والفقهاء عبارة عن الخبر

الذى يكون فى سنده انقطاع ، بأن يحدث واحد منهم عن لم يلقه ، ولا أخذ عنه . (74) "

ورواية السكرى ، حتى لو فرضنا أنها رواية الكلبي وابن حبيب ، هى من المراسيل ، وليست من المسند الذى

هو عند أهل الحديث ما اتصل بسنده من راويه إلى منتهاه . (75)

والمعروف أن الكلبي وابن حبيب والسكرى وغيرهم ممن سيأتى ذكرهم قد عاشوا ونبغوا فى القرن الثالث

للهجرة وما بعده ، فمن الذى حدثهم بولادة حكيم فى الكعبة ، مع أنها كانت قبل الإسلام بستين سنة ، كما أرخ

ذلك بعض المؤرخين ؟ . (76) !

ومنها : الشذوذ ومخالفة المشهور .

والحديث الشاذ هو الحديث الذى يتفرد به ثقة من الثقات وليس للحديث أصل متابع لذلك الثقة . (77)  
روى الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وغيره بإسنادهم إلى يونس بن عبد الأعلى قال : قال لى الشافعى : ليس  
الشاذ من الحديث أن يروى الثقة ما لا يرويه غيره ، هذا ليس بشاذ ، إنما الشاذ أن يروى الثقة حديثا يخالف فيه  
الناس ، هذا الشاذ من الحديث . (78)

(73)جامع التحصيل فى أحكام المراسيل : ٢٦ .

(74)المصدر نفسه .

(75)مقدمة ابن الصلاح : ١١٩ .

(76)تاريخ البخارى الكبير ٣ : ١١ رقم ٤٢ .

(77)معرفة علوم الحديث : ١١٩ .

(78)المصدر السابق ، ومقدمة ابن الصلاح : ١٧٣ .

ص: 32

زاد ابن الصلاح فى مقدمته : " فخرج من ذلك أن الشاذ المردود قسما : أحدهما : الحديث المنفرد المخالف .  
والثانى : الفرد الذى ليس فى راويه من الثقة والضبط ما وقع جابرا لما يوجب التفرّد والشذوذ من النكارة  
والضعف . (79) "

ونحو هذا التقسيم قسم ابن الصلاح الحديث المنكر . (80)

وقد أمر أحمد بن حنبل ابنه أن يحذف حديث " يهلك أمتى هذا الحى من قريش " لمخالفته المشهور . قال  
عبد الله بن أحمد بن حنبل : " قال أبى فى مرضه الذى مات فيه : اضرب على هذا الحديث ، فإنه خلاف  
الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم " . تعقبه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب " خصائص المسند "  
قائلا : " وهذا مع ثقة رجال إسناده ، حين شذ لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب عليه . (81) "  
ونقل ابن الجوزى عن بعضهم أنه قال : " إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض  
الأصول ، فاعلم أنه موضوع . (82) "

ولا شبهة فى أن ما تفردت به هذه الآحاد من زعمهم أن ولادة حكيم كانت فى الكعبة هو خبر شاذ ، منكر ،  
موضوع ، خالفوا فيه المنقول ، وناقضوا الأصول ، إذ لم تتوفر فيهم وفى خبرهم ما يدفع شذوذه ونكارتة ووضع .  
وقد مر عليك قول شهاب الدين الآلوسى وغيره من الأعلام أن حديث ولادة على عليه السلام فى الكعبة " أمر  
مشهور فى الدنيا ، ولم يشتهر وضع غيره - كرم الله وجهه - كما اشتهر وضعه ، بل لم تتفق الكلمة عليه " .  
والتأكيد عليه فى مصادر الحديث المعتمدة ، وكلمات مهرة الفن ، وحملة العلم ،

(79)مقدمة ابن الصلاح : ١٧٩ .

(80)مقدمة ابن الصلاح : ٨٧٤ .

(81) مسند أحمد 301 : 2 ، فتح الملك العين : ١٢٦ .

(82) فتح الملك العلي : ١٢٢ .

ص: 33

وأهل السير ، وأصحاب التاريخ ، وصاغة الشعر ، لا يدع مجالاً لشيء إلا الإذعان بأنه الصحيح الشائع الذائع المستفيض ، السائر ذكره مع الركبان ، الدائر بين الناس ، المقبول عند الأمة ، المشهور بين القاصي والداني ، شهرة لازمتها تواتر الأسانيد التي لم يخل سند منها من محدث ثقة ، وناقد خبير ، وعالم باحث ، ومؤرخ ثبت ، وإمام من أئمة الفريقين وأساطينهم ، لا يستهان بعددهم ، ولا يطعن في روايتهم ، ولا يغمز في شيء من أمانتهم ، كابن إسحاق المطلبى ، وابن زكرة الأزدي ، والقفال الشاشي ، والشيخ ابن بابويه الصدوق ، والشيخ المفيد ، والحاكم النيسابوري ، والشريف الرضي ، والسيد المرتضى علم الهدى ، والكراچكي ، وشيخ الطائفة الطوسي ، وابن أبي الغنائم العمري النسابة ، وابن أبي الفوارس ، وابن المغازلي ، وعماد الدين الطبري ، وسبط ابن الجوزي ، والحافظ الكنجي ، والسيد ابن طاوس ، وشيخ الإسلام الجويني ، وابن الصباغ المالكي ، و . . . . .

فلا شك إذن في أنه من ، الأحاديث " المشهورة التي يعرفها أهل العلم ، وقلما يخفى ذلك عليهم ، وهو

المشهور الذي يستوى في معرفتها الخاص والعام . (83) "

وروى ولادة حكيم في الكعبة الزبير بن بكار (١٧٢ - ٢٥٦ هـ) في كتابه " جمهرة نسب قريش " ، قال : " حدثني مصعب بن عثمان ، قال : دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش ، وهي حامل متم بحكيم بن حزام ، فضربها المخاض في الكعبة ، فأتيته بنطع حيث أعجلها الولاد ، فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع . (84) "

وليست هذه الرواية بأحسن حالاً من سابقتها ، ففيها : أولاً : الزبير ، وهو ضعيف عند بعضهم ، قال عنه

الحافظ أحمد بن علي السليمانى

(83) معرفة علوم الحديث : ٩٣ .

(84) جمهرة نسب قريش ١ : ٣٥٣ .

ص: 34

في كتاب الضعفاء : منكر الحديث . (85)

وذكره في عداد من يضع الحديث ، وقال مرة : منكر الحديث . (86)

واعترض عنه ابن حجر العسقلاني بأن السليمانى " لعله استنكر إكثاره عن الضعفاء ، مثل محمد بن الحسن بن زباله ، وعمر بن أبي بكر المؤملى ، وعامر بن صالح الزبيرى وغيرهم ، فإن في كتاب النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة . (87) "

وثانياً : رغم البحث الجاد فيما وقع بيدي من معاجم رجالية لم أعني على مدح أو توثيق لمصعب بن عثمان ،

هذا الذى روى هذه الحادثة ، سوى نسبه وهو : مصعب بن عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام (88) ، فلا أقل من أن حاله مجهول ، إن لم يكن من أولئك الضعفاء الذين أكثر ابن بكار فى الرواية عنهم فى الجمهرة أشياء منكرة كثيرة ، خاصة أنه كان الواسطة بين عامر بن صالح وبينه . وشيخه هذا - عامر - كان كذابا ، ليس بثقة ، عامة حديثه مسروق ، يروى الموضوعات ، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب ، ولعله ورث تلميذه شيئا من ذلك . (89)

ثالثا : أن مصعب بن عثمان هذا لم يذكر سندا لهذه الرواية ، ولا صرح باسم من حكاها له ، ولا أشار إلى المصدر الذى استقاها منه ، وأقل ما يمكننا القول إنها كسابقتها مرسله ، منكرة ، شاذة ، ضعيفة . ومن العجب أن بعض المؤلفين أوردوا رواية الزبير هذه فى مؤلفاتهم يرسلونها إرسال المسلمات ، ويوردونها مستدلين بها محتجين ، وكأنها من الأحاديث المسندة الصحيحة المتواترة الثابتة التى لا تقبل الجدل ، ولا تخضع للنقاش !

(85) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣١٤ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٣ .

(86) ميزان الاعتدال ٢ : ٦٦ .

(87) تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٣ .

(88) التبيين فى أنساب القرشيين : ٢٦٦ .

(89) أنظر تهذيب الكمال : ١٤ / ٤٦ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٤٢٩ .

ص: 35

فقد أخرجها عن الزبير : جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) فى كتابه " صفة الصفوة . (90) "

جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزى (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) فى كتابه " تهذيب الكمال . (91) "

شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) فى كتابه " سير أعلام النبلاء . (92) "

شهاب الدين ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) فى كتابه " الإصابة . (93) "

وقد تعودنا من هؤلاء الأربعة - خصوصا - محاولاتٍهم الدائبة للتستر على فضائل على وأهل بيته عليهم السلام وكنماتها ، وتضعيفها مهما كثرت طرقها وتواترت أسانيدُها ، وأفرطوا فى ذلك حتى اشتبهوا به .

كما تعودنا منهم الاخبار بصحة الفضائل الموضوعه ، والكرامات المختلقة ، والأحاديث الضعيفة الواهية

المروية فى من كان على رأيهم ، ويذهب مذهبهم ، ويوافق هواهم وزيف قلوبهم \* (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . \*

ورواها الحاكم أبو عبد الله النيسابورى (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) فى " المستدرک " بطريقتين :

الأول " : سمعت أبا الفضل الحسن بن يعقوب ، يقول : سمعت أبا أحمد محمد

(90) ج ١ : ٧٢٥ .

(91) ج ٧ : ١٧٣ .

(92) ج ٣ : ٤٦ .

(93) ج ٢ : ٣٢ .

ص: 36

ابن عبد الوهاب ، يقول : سمعت على بن عثام العامري ، يقول :

ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة ، دخلت أمه الكعبة فمخضت فيها ، فولدت في البيت . (94) " وابن عثام هذا هو أبو الحسن الكلابي الكوفي ، توفي سنة ٢٢٨ هـ ، وتحرف اسمه في مطبوعة المستدرک إلى : غنام . قال عنه الحاكم في تاريخه : " أديب فقيه . . . أكثر ما أخذ عنه الحكايات ، والزهديات ، والتفسير ، والجرح والتعديل . (95) "

وروايته المتقدمة التي لا تقوم بها الحجّة عند أهل العلم بالحديث ، تدخل في باب الحكايات ، وهو أنسب باب لها ولمثيلاتها من المرسلات الواهية والأحاديث المختلفة . ولعل الذهبي قد تنبه إلى ما فيها من الوهن والضعف فحذفها من مختصره ولم ينس عنها بنت شفة ، ولو صحت بوجه من الوجوه لم يحذفها ، إذ استنفد ما لديه من حقد وعلم مقلوب في تجريح وتضعيف وتقييح وسب لرواة مناقب علي وأهل بيته عليه السلام ! الثاني : " أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحرابي ، ثنا مصعب بن عبد الله ، فذكر نسب حكيم بن حزام وزاد فيه : وأمّه فاختة بنت زهير بن أسد بن عبد العزى ، وكانت ولدت حكيمًا في الكعبة ، وهي حامل ، فضرها المخاض وهي في جوف الكعبة ، فولدت فيها ، فحملت في نطع وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم ، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد ! قال الحاكم : وهم مصعب في الحرف الأخير ، فقد تواترت الأخبار أن فاطمة

(94) ج ٣ : ٤٨٢ .

(95) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٧٠ .

ص: 37

بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة . (96) " ويا ليت شعري هل أصاب في الحرف الأول ، كى ينيه الحاكم إلى وهمه في الأخير ؟ ! أم حسب أن هذه المزعمّة المرسلّة والمقطوعة السند قد وصلت إليه ب" الأسانيد المنقولة إلينا بنقل العدل عن العدل ، وهي كرامة من الله لهذه الأمة خصهم بها دون سائر الأمم (97) " ؟ !  
ومن هؤلاء العدل الذين أهمل الزبيرى ذكرهم ؟ ! ونقل الذهبي هذه السفسطة في تلخيصه ، مؤيدا - على غير عادته - رأى الحاكم في وهم مصعب الزبيرى . وقد تكلم الحجّة الأوردبادى على رواية مصعب هذه في عدة موارد ، ونبه إلى بعض ما فيها من نقاط الضعف ، فراجع . (98)

ورواها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى فى " أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار " قال :  
حدثنى محمد بن يحيى ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن أبى سليمان ، عن أبيه أن فاختة ابنة زهير  
بن الحارث بن أسد بن عبد العزى - وهى أم حكيم بن حزام - دخلت الكعبة وهى حامل ، فأدركها المخاض  
فيها ، فولدت حكيم فى الكعبة ، فحملت فى نطع وأخذ ما تحت مثيرها (99) ، فغسل عند حوض زمزم ،  
وأخذت ثبابها التى ولدت فيها فجعلت لقى . (101) (100)

(96)المستدرک ۳ : ۴۸۳ .

(97)المستدرک ۱ : ۲ .

(98)على وليد الكعبة : ۱ - ۳ ، و ۱۲۵ .

(99)المثير : الموضوع الذى تلد فيه المرأة من الأرض . الصحاح : ۲ / ۶۰۴ (ثير) .

(100)اللقى ، بالفتح : الشئ الملقى لهوانه . الصحاح : ۶ / ۲۴۸۴ (لقى) .

(101)أخبار مكة : ۱ / ۱۷۴ .

ص: 38

وللباحث أن يتساءل عن الأزرقى هذا:

-من هو ؟! - ما قيمة أخباره وأحاديثه عند علماء الحديث وأئمة الجرح والتعديل !?

-من هؤلاء الرجال الذين روى عنهم هذا الحديث ؟! الأزرقى ، هو :

محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي ، عرفه ابن النديم بأنه "  
أحد الأخباريين وأصحاب السير ، وله من الكتب كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها ، كتاب كبير . (102) "

هذا هو كل ما ذكر عنه ، وليس فيه تصريح يستفاد منه حسن الرجل أو وثاقته ، ويبدو أن ابن النديم قد تفرد  
بترجمته ، حيث أهملها علماء الرجال والمتخصصون الأقدمون ، وإنما ذكره ضمنا فى ترجمة جده أحمد  
-المتوفى سنة ۲۱۲ . أو ۲۱۷ ، أو ۲۲۲ هـ

-المعدود فى مشايخ البخارى ، وأبى حاتم محمد بن إدريس الرازى ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى . فقال  
المزى فى تهذيب الكمال : أحمد بن محمد . . . . جد أبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى صاحب تاريخ مكة  
(103) .

ثم عد الرواة عنه ومنهم : ابن ابنه أبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى . (104)

وذكره وكتابه هذا شمس الدين السخاوى (المتوفى سنة ۹۰۲ هـ) فى " الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ "

وقال : كان فى المائة الثالثة . (105)

ولعله استنتج ذلك من كتاب الأزرقى نفسه ، حيث أرخ فيه لحادثة وقعت فى سنة عشرين ومائتين (106) ،  
أو من معرفته بطبقة جده وعصره .

(102) الفهرست : ١٦٢ .

(103) تهذيب الكمال : ١ / ٤٨٠ .

(104} تهذيب الكمال : ١ / ٤٨١ .

(105) الاعلان بالتوبيخ : ١٣٢ .

(106) أخبار مكة ٢ : ١٠٣ . وانظر بشأنه كشف الظنون : ١ / ٣٠٦ و ج ٢ / ١٦٨٤ ، هدية العارفين : ٢ / ١١ ، معجم المؤلفين : ١٠ / ١٩٨ ، الأعلام للزركلي : 222٤ / ، وفيها اختلاف كثير في تحديد عصره !

ص: 39

في النتيجة يتبين لنا أنه ليس في المصادر التي ترجمت للأزرقى ، أو ذكرته ، ما يشجع ، أو يساعد ، على قبول أخباره عموماً ، وحديثه الشاذ هذا خصوصاً . أما شيخه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ، فقد ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في كتابه " الجرح والتعديل " وقال : سألت أبي عنه فقال : كان رجلاً صالحاً ، وكانت به غفلة ، رأيت عنده حديثاً موضوعاً . (107)

وقال البخاري : مات بمكة لإحدى عشرة بقية من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين ومائتين . (108) والملاحظ أن جل روايته في " أخبار مكة " عن شيخه : محمد بن عمر الواقدي المتفق على ضعفه وترك حديثه . (109)

وعبد العزيز بن عمران . وهو عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الأعرج ، المعروف بابن أبي ثابت . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن عبد العزيز بن عمران فقال : ما كتبت عنه شيئاً . وقال البخاري : لا يكتب حديثه ، منكر الحديث . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال يحيى بن معين : ليس بثقة ، إنما كان صاحب شعر . وقال علي بن الحسين بن حبان : وجدت في كتاب أخي بخط يده : أبو زكريا

(107) الجرح والتعديل : ٨ / ١٢٤ ، تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٠١ ، سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٩٦ .

(108) التاريخ الكبير : ١ / ٢٦٥ ، التاريخ الصغير : ٢ / ٣٤٨ .

(109) أنظر أخبار مكة (موارد كثيرة) ، الجرح والتعديل : ٩ / ٤٥٤ ، سير أعلام النبلاء : ٨ / ٢٠ .

ص: 40

ابن أبي ثابت الأعرج المدني قد رأيت هاهنا ببغداد ، كان يشتم الناس ويظعن في أحسابهم ، ليس حديثه بشيء . وقال أبو حاتم الرازي : متروك الحديث ، ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً . وقال محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري : على بدنة إن حدثت عن عبد العزيز ابن عمران حديثاً . وقال ابن حبان : يروى المناكير عن المشاهير . وقال الرازي : امتنع أبو زرعة من قراءة حديثه ، وترك الرواية عنه . (110)

إن اتفاق هؤلاء الأعلام على ضعف عبد العزيز بن عمران وترك حديثه ، واشتهاره بالكذب ، ورواية المناكير ، وسوء الخلق و . . . ، أغناني عن اللجوء إلى التدقيق والبحث في بقية السند . إن مصنفنا مجهول الحال كالأزرقى وراو كالأعرج ، لا يصح الاعتماد عليهما في إثبات حادثة شاذة كهذه ، وسند هذا مبدؤه ومنتهاه محكوم عليه بالاهمال والإعراض التأمين ، ولا يصح للباحث الجاد أن يستند إليه بأى وجه ، وفق ما قرره علماء الدراية . قال الحافظ يحيى بن سعيد القطان - الذى وصفه الذهبى بأمر المؤمنين فى الحديث " : - ! (111) لا تنظروا إلى الحديث ، ولكن انظروا إلى الإسناد ، فإن صح الإسناد ، وإلا فلا تغتروا بالحديث إذا لم يصح الإسناد . (112) "

وقال الحافظ عبد الله بن المبارك : " ليس جودة الحديث قرب الإسناد ، جودة الحديث صحة الرجال " (113) .

وقد عرفت فيما تقدم أن رواية الأزرقى هذه لم تصح إسنادا ولا رجالا على أقل

- 
- (110) راجع : التاريخ الكبير : ٢٩ / ٦ ، التاريخ الصغير : ٢ / ٢٣٤ ، الجرح والتعديل : ٥ / ٣٩٠ و ٣٩١ .  
تاريخ بغداد : ١٠ / ٤٤١ ، تهذيب التهذيب : 351٦ / ، ميزان الاعتدال : ٢ / ٦٣٢ ، وغيرها .  
(111) سير أعلام النبلاء : ٩ / ١٧٥ .  
(112) تهذيب الكمال : ١ / ١٦٥ ، سير أعلام النبلاء : ٩ / ١٨٨ .  
(113) تهذيب الكمال : ١ / ١٦٦ .
- 

ص: 41

تقدير .

تشكل الروايات والنصوص المتقدمة المصدر الرئيسى والمرجع الأساسى المهم لهذه المزعمه الواهية . والقاسم المشترك بينها جميعا هو الإرسال ، والشذوذ ، ومخالفة ما هو مشهور ، والنكارة ، والتحريف ، والتلاعب فى بعض مصادرها ، وضعف بعض روايتها ، وعلّة واحدة من هذه العلل يسقط الاعتماد عليها ، ويوجب نبذها جانبا ، فكيف بها مجتمعة ؟! وتبين من خلال البحث فى تواريخ روايتها أنها ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، وأنها مما تعمد وضعه وتدرج نحتنه فى الأزمنة المتأخرة ، وما أكثرها . يقول يحيى بن معين مشيرا إلى كثرتها " : كتبنا عن الكذابين ، وسجرنا به التنور ، وأخرجنا به خبزا نضيجا . (114) "

والعجب أن أكثر هذه الأحاديث وجلها قد وضعها " أهل الخير والزهد " ! قال يحيى بن سعيد القطان : " لم نر الصالحين فى شئ أكذب منهم فى الحديث . (115) "

وقال : " لم نر أهل الخير فى شئ أكذب منهم فى الحديث . (116) "

وقال : " ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فىمن ينسب إلى الخير والزهد . (117) "

من أجل هذا - وغيره - ينبغى لنا ألا نمنح هذا التاريخ ثقتنا واعتمادنا ، بل يجب غر بلته وإزالة شوائبه بإخضاع نصوصه وأخباره لدراسة علمية ، حيادية ، مستوعبة

---

- (114) تاريخ بغداد ١٤ : ١٨٤ ، سير أعلام النبلاء : ١١ / ٨٣ عن تاريخ الآبار .  
(115) صحيح مسلم ١ : ١٧ ، تاريخ بغداد ٢ : ٩٨ .  
(116) صحيح مسلم ١ : ١٨ .  
(117) اللآلئ المصنوعة . . . ، فتح الملك العلي : ٩٢ . وللتوسع راجع الغدير ٥ : ٢٧٥ - ٢٩٦ .
- 

ص: 42

وشاملة لجميع جوانبه ، مع الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة ، فلا فائدة من تصنيف الأخبار إلى تافه وقيم ، إلا بعد البحث والدراسة ، فالتافه ما أثبت التحقيق تفاهته وزيفه وضعف قواعده وتضعف دعائمه ، والقيم ما أثبت التمحيص أصالته ، وظهرت براهينه ، ولاحت دلائله ، وصمد عند النقد .  
وفي الختام أحمد الله سبحانه لما خصني به من لطف القيام بهذا العمل المتواضع ، آملاً أن يروق أهل الفضل والتحقيق ، متوكلاً على الفرد الصمد ، متوسلاً بحجزة وليد الكعبة ، مستمداً العون من ساحة قدسه ) \* . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننتهدي لولا أن هدانا الله ( وسلام على عباده الذين اصطفى ) ( أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ) .

ص: 43